

تأثير الأعاجم في لغة العرب

لليحاة العربية الجيب
عبدالحق فاضل

واحد من كبار الملوك . أن اصل هذا الاسم هو (شروكين) - وزان متروكين - سماه الانكليز (سركون Sargon بالكاف الفارسية ، وكتب المصريون هذا الاسم المستحدث بالجيم لينطقوه بالكاف الفارسية على طريقتهم ، ولكن العراقيين نقلوا عنهم كتابة الاسم بالجيم ونطقوه بالجيم ، فزادوا الامر اختلاطا . وهذا كله يجرى في عصر المعرفة الذي نعيش فيه ويترك أثره في وطن شروكين نفسه .

وأهم من شروكين اسم (سومر Sumer وما جرى له مع الحرفين القنماء والمحدثين ، فقد سمتها التوراة أرض (شمنار) وظل البشر ومنهم أهل الرافدين - سكان سومر القديمة - يعرفونها بهذا الاسم ، الى أن اكتشف المنقبون آثارها أخيرا فعرفوا اسمها الصحيح الذي به كان يسميها أهلها ، وهو على كل حال ليس (سومر) فهذا ايضا خطأ ، بل (شمر) - وزان دزر ، يضم وفتح . ولكن المستشرقين كانوا قد اصطالحوا على كتابة حرف الشين بحرف (اس - S) عليه علامة مخصوصة دفعا للالتباس الذي يحصل من استعمال (اس. اج - Sh) واحدهما يدل على السين والآخر على الهاء مخافة ان يتوهم القارىء فينطق كلا منهما على حدة بحيث اذا صادفته (Shumer) مثلا قرأها (سهومر) ووطن المستشرقون أنهم باستعمالهم حروفهم الاصطلاحية ومنها الحرف الواحد المختص بالشين قد قضاوا على كل ليس محتمل ، ولكن هذا الاحتراز من اللبس المحتمل بذاته قد سبب لبسا آخر بات مستعصيا تصحيحه الا

ان تطور اللغة - أبة لغة - إنما يكون بتفاعل داخلي بين أبنائها أو باحتكاك خارجي مع غيرها من لغات بني الانسان ، والثاني هو الذي نريد .

والاحتكاك الخارجى اما أن يؤثر في اللغة باعطائها مفردات أجنبية جديدة تضاف الى ذخيرتها كالألفاظ الدخيلة الوافرة في جميع اللغات ومنها العربية (I) واما أن يؤثر في اللغة الاصلية نفسها فيحدث فيها بعض التغير ، والثاني هو الذي نريد .

وتأثير الأعاجم في اللغة الاصلية نفسها يتم اما في موطن اللغة بين ظهرائي أهلها واما بعيدا عن موطنها في ديار أهل غير أهلها وربما يتعاون على اللفظة الصغيرة الواحدة أكثر من شعب ، أو عدة شعوب ، ليحرفوها عن موضعها . وكلا من هذين الامرين نريد .

والتأثير الاعجمي في اللسان العربى اما أن يحققه الاعاجم في ديارهم او في ديار العرب ، واما أن يحققه العرب في ديارهم او في ديار الاعاجم دون تدخل من الاعاجم أنفسهم ، وكل ذلك نريد .

ونفضل البدء بذكر بعض الالفاظ التي حملها الاعاجم الى مواطنهم فغيروا ميناها او معناها او كليهما ، ثم أعادوها الينا فقبلناها منهم على علاتها ، أو زدناها نحن على علاتها .

وفي تاريخ العراق أمثلة كثيرة من هذا الطراز . وانما أذكر بعض الامثلة من العراق لاني أعرف بها من سواها ، ولناخذ منها اسم (سرجون) وهو من أشهر الاسماء في تاريخ أرض الرافدين ، وقد تسمى به غير

(I) أن تأثر اللغة الفارسية واللغات الاوربية الحديثة باللغة العربية في العهد الاسلامى امر معروف ، وهو دليل على فضل العرب على الحضارة الحديثة . ولكن لدينا بحوثا تأمل أن تساعفنا الظروف على انجازها واخراجها تميظ اللثام عن تأثر اللغات الفارسية واللاتينية والانكليزية وغيرها باللغة العربية منذ لجاهلية الاولى مما قد يحدث انقلابا في تقييم مكانة الجزيرة العربية من الحضارة الانسانية من أقدم عهودها .

القديم فكان منهم أن سموا عليهم التنقيب الآثاري في العراق علم الآشوريات (أسيرولوجي Assyriology) وما زالوا على ذلك الى يومنا هذا . ولا ادري الى متى سيظلون متمسكين بهذه التسمية بالرغم من اكتشافهم ربوعا ودولا عراقية قديمة أخرى ، فالتاريخ الشمري ، والتاريخ الاكدي ، والحزوري ، والكاشي .. كله آشوريات !

فاليوم عندنا خيمه الفاظ من اسم آشور كالسدي رأينا ، أربعة منها خطأ بفضل الاجانب . وهي عبدا آشور : سورية ، السريان ، السريانية ، الآشوريات . ولنترك العراق وسورية ولنضرب امثله من طراز آخر .

(الترسانة) : كلمة عربية تانكلزت وغيرت مسن قياقتها الى حد أصبح من الصعب معه معرفتها دون دليل يستعملها المصريون بمعنى (دار الاسلحة) تعريبا لكلمة (أوسينال Arsenal التي تعني بالانكليزية مؤسسة صنع الاسلحة والتجهيزات العسكرية . وهذه قد اقتبسها الانكليز في الاصل من العربية : (دار الصناعات) . ولكن الترسانة معروف انها كلمة اعجمية على كل حال ، ولولا ذلك لقال الباحثون انها من الترس الذي يقى المحارب من ضربات فريعه عند النزال كما تقى الترسانة - أي دار الاسلحة - الوطن من ضربات العدو !

وأهم من هذا - من الناحية اللغوية - ما يقال له في ديار الشام (أرضي شوكي) ، والاكترون يظنونه اسما عربيا أصيلا ، في حين أنه مغرب عن الانكليزية ، عن الفرنسية ، عن الاسبانية . وقد اقتبسته الاسبانية عن العربية ، وهو (أترشوف) - الثمر الذي يسمى فسي شمال العراق باسمه التركي (انكينار) ، وقل من يعرفه في العراق ولا سيما في الجنوب لندرته . وقد حرف الاسبان اسمه فسوه (الكجوقه) - (Alcachofa) وتناول الفرنسيون هذه اللفظة الاسبانية فجعلوها (أرتيشو Artichaut) ثم تلقاها الانكليز فنطقوها أرتيجوك (Artichoke) فلما سمع الشاعيون - عفوا : السوريون حسب التسمية الرسمية - هذه الكلمة لم يخامرهم ريب في أنها (أرضي شوكي) ، ولا سيما أن لهذا الثمر حراشف (شاككة) ، وليس من المعقول أن تأتي من الانكليزية بنفس المعنى العربي كلمة الشوك التي يتميز بها هذا النبات والارض التي يزرع فيها - كما قال لي أحدهم مجادلا .

في المدى الطويل . ذلك بأن اكثر المطابع الاوربية لا تملك الحرف المصطلح عليه للشين فاستعملت حرف (اس S) البسيط المعتاد وحده فصار الناس ينطقون اسم (شور) بالسين ، وبضمة مديدة ايضا ، فصار (سومر) وقد بقيت بعض المجلات الانكليزية حتى عام 1925 - فيما أذكر - تكتبه بحرفي (اس.اج Sh) هكذا : Shumer ثم غلب الخطأ لشيوعه على الصواب لندرته كما هي القاعدة في امثال هذه الحال . وصار سكان ارض (شور) - العراقيون - أيضا يسمونها (سومر) بل ان مديرية الآثار العامة العراقية نفسها عندما أصدرت مجلتها الأثرية سميتها (سومر) بالعربية على الغلاف الايمن ، و Sumer بالانكليزية على الغلاف الايسر .

ومن اغرب ما اوقعتنا فيه الاعاجم من اغلاط اسم سورية . فالسوريون ونحن معهم نسميها «سورية» ، وهم يدعون أنفسهم ونحن معهم ندعوهم (السوريين) ... نزولا على حكم الاعاجم - الاغريقي - في هذه التسمية الخاطئة . واسمها العربي هو (الشام) كما هو معلوم ، ولكن الاغريق عرفوها جزءا (I) من الامبراطورية (الآشورية) Assyria فسوها (سيريا Syria) . والظاهر أن الاغريق ما كانوا يفرقون بين الاسمين ، وقد تابعهم اللاتين على ذلك فاستعملوا الاسمين بمعنى واحد .

ونتيجة لذلك سمي الاغريق اللفظة الارمية - أو الآرامية على الشائع - (سيرياك - Syriac) أي اللفظة السورية ، فقبلنا هذه التسمية ايضا جريا مع من قبلها من العالمين وسميناها (السريانية) . وكذلك سموا الارميين - كل الارميين - (سيرياك Syriac) أي أهل سورية فسميناها (السريان) لانهم - بعضهم - كانوا يسكنون ارض الشام . هذا على حين ان الارميين لم يكونوا كلهم يسكنون الشام ، ولا كان كل سكان الشام ارميين ، كما أن الشام غير آشور ، واللفظة الآشورية غير الارمية ، وان كانت مثلها سامية ترجع معها الى اصل واحد .

وان كانت هذه الملاحظات قد اعتورت اسم آشور في العصور القديمة فان العصور الحديثة بالرغم من علومها وقنونها لم تبرا من امثال هذا الخطأ ، في حق آشور ايضا . فقد اكتشف المنتقبون الغربيون آشور وعرفوا اسمها قبل ان يكتشفوا سواها من أنحاء العراق

(I) اننا نعرف أن كلمة (جزء) تنون بغير الف حسب القاعدة الرائجة ، ولكن القاعدة خطأ في نظرنا ، لان همزة الجزء وامثالها لا تختلف عن سائر الاصوات من عين وخاء وقاف لها نطقها الخاص ، وهي غير الالف قطعا . ومن المنطق معاملة الهمزة كغيرها من الاصوات باضافة الالف اليها عند المد أو التثوين .

وشيء من هذا القبيل يمكن ان يقال عن (الكازوز) - أو الغازوزة كما يكتبها عرب المشرق . هذه الكلمة اليعربية أصلها (عرق السوس) وهو شراب يصنع من جنود شجر السوس . وما زال معروفاً في الموصل يبيعه السقاء في الصيف خاصة في الاسواق البلدية القديمة . وما زال معروفاً كذلك في بلاد الشام وبلاد المغرب العربي ، وربما في بلاد عربية أخرى . والظاهر أن العرب كانوا يستعملونه في الاندلس فاقتبسوه الاسبان وسموه (ألكوز - Alcazuz) ويبدو أنه أعجب الاسبان وغيرهم من الاوربيين الى حد انهم اطلقوا عليه على مختلف الاشربة من باب التغليب . ثم عاد الاسم الى العربية بصيغة (الكازوز) فاطلق على اشربة الفواكه ذات الغاز عموماً . فلا غرو أن يتوهم بعضهم أن التسمية اما جاءت من كلمة (الغاز) هذه لوجودها واضحة في الاسم . وغى مثل هذه المصادفة المضللة - ومن قبلها مصادفتا الترسانة والارضى شوكي - عبرة للباحثين ينبغي أن تعصمهم من التورط في مثل هذه المزلق اللغوية والامعان في القياس والاستنتاج - وانا كغيري كثيراً ما افعل ذلك - اعتماداً على تشابه لفظي صراح يبدو كأنه لا سبيل الى الشك فيه .

وهذه الكلمة استعملتها وزارة الخارجية العراقية زمناً بمعنى الرموز السرية التي تتخاين بها مع مؤسساتها الدبلوماسية والقنصلية خارج العراق ، ثم بدا لها فستها بعد ذلك (القاعدة الرمزية) . وما زالت وزارة الدفاع العراقية تسميها (الجفرة) من باب التعريب . ونحسب ديوان الترجمة فيها انما قبلها على وجهها هذا بالرغم من تشده في التعرب لانها تشبه كلمة (الجفر) التي تشمل كذلك أموراً مطلّسة سرية . واذا تحرينا نسب هذه الكلمة وجدنا أصله (الصفر) العربي المستعمل في الحساب . فهو في العربية يعني الفارغ الخاوي . اذا هو رسم في مرتبة الآحاد او العشرات أو المئات .. الخ ، كان المعنى فراغ تلك المرتبة من الاعداد . وقد صار في اوربا يعني الطلاسّم والاحاجي السريّة المحرمة ، لان أهل الورع والتعصب الديني والقومي من الاوربيين التصارى قالوا كيف يكون الصفر لا شيء ثم هو يجعل الواحد عشرة ومائة وألفاً وألوفاً... فلا يد أنه طراز من السحر الاسود . ولا سيما أنه جاء عن العرب المسلمين ، الذين كانوا عندهم أشد الناس كفراً وعداوة . وصاروا يعاقبون كل من يستعمل الارقام العربية التي أخذ الناس يتهافتسون عليها لمنطقيتها وسهولتها بالقياس الى الارقام الرومانية التي لا تطاوع اجراء العمليات الحسابية بتلك المرونة ، حتى صار التجار ينظمون دفاترهم بالارقام العربية سرا بالرغم من خشيتهم العقوبة المسلطة على رؤوسهم . ومن كل هذا صارت كلمة الصفر - سايفر (Cipher) بالانكليزية - تعنى الطلاسّم والرموز ، وما زالت تعنى ذلك حتى أخذها عنهم بعض العرب بهذا المعنى كما قلنا قبل . وهو شديد البعد عن معناها الاصلى : الفارغ . وانما انقلب نطق السين في (Cipher) جيماً (فارسية مثلثة) في ايطاليا على ما يبدو ، لان الايطاليين هم الذين ينطقون حرف (C) جيماً اذا تلاه (I) أو (E) من أجل ذلك ينطقون cinema مثلاً جيماً . و (Cento) جينتو (أى مئة) . ولكن هذا الصوت الايطالى أصبح عند الفرنسيين شيئاً فهم ينطقونها (شيفر) وما زالت تعنى عندهم الرقم .

المهم في بحثنا أن العرب في العراق وبعض الاقطار العربية الأخرى استعملوا الشيفرة او الجفرة باعتبارها اعجمية معربة . وهى عربىة متفرجة فمتعسرة . كالمغتربين من العرب الذين يفتقدون حتى لغتهم فاذا هم عادوا الى ديارهم رطنوا بلغة اعجمية . واما كلمة (زيرو)

وإن شاء القارى مزيداً من النماذج فما هي (المغازه) وفصيحتها المخزن ، واصلها العربي القمح هو (المخزون) أيضاً . وهي بالانكليزية (مكازين Magazine) وقد أخذها الانكليز عن الفرنسيين ، وهؤلاء عن الايطاليين . وهؤلاء عن العرب . وهي لا تعنى فتح الانكليزية مخزن البضائع فقط بل المخزن من كل نوع عسكري كذلك : من مدخر الاسلحة والاعتدة والبارود . وحتى مخزن الرصاص في البندقية . واخيراً صارت تعنى المجلة . وشبه ذلك شأنها في الفرنسية (X) . ولو تناولهما أحد اللغويين القدامى من العرب لقال ان المجلة انما سميت بذلك لانها مخزن العلم ! ولعل هذا هو الصواب حقاً . لان المجلة كتيب يحتوى موضوعات شتى . ومهما يكن فالظاهر ان عرب المشرق أخذوها عن الترك وهؤلاء عن الفرنسيين - لا الانكليز او الايطاليين - لان الفرنسيين هم الذين ينطقونها مكازيه وكذلك ينطقها المغاربة في لغتهم الدارجة . وقد كادت الكلمة تندثر الآن في المشرق لان الكلمة (المخزن) استعادت مكانها هناك أو كادت .

واليك كلمة عربية أخرى مثلت دوراً خطيراً في اوربا ثم عادت اليها متفرجة على العادة باسم (الشيفرة) .

(I) الفرنسيون يستعملون صيغة المذكر (مكازاه - Magazin) للمخزن ، وصيغة المؤنث (مكازين - Magazine) للمجلة . لا ندرى لماذا .. ربما لانهم أخذوا المجلة بصيغتها هذه عن الانكليزية .

(Zéro) في الانكليزية والفرنسية والاطالية وغيرها من اللغات الاوربية بمعنى الصفر ، فهي اقتباس ثان من نفس الكلمة العربية (الصفر) ... بنفس المعنى هذه المرة . وقد جرى هذا الاقتباس الثاني أيضا على يد الايطاليين ولهذا جاءت صيغته ايطالية ، وهم ينطقونه (تزيرو) .

يرى القارئ اية أساليب عجيبة وطرائق مساكرة تسلك الالفاظ العربية في استعجابها وعودتها إلينا في غير زها ، حتي لتنكرها عين العربي فلا يتعرف عليها إلا العائف المدقق بل ان بعضها لا يمكن الكشف عن هويتها وودها الى اصلها الا باتباع ما يشبه أساليب المتقنين في تعقب المجرمين والعصابيين (I) .

فهل يتغنى القارئ نموذجاً من هذا الصنف بالاضافة الى ما تقدم ؟ اليك (البنزين) وهي الكلمة الشائعة في الكثير من اللغات يطلقونها على النوع المعروف من النفط المستعمل وقوداً للسيارات وغيرها من الآلات . من يستطيع غير (شبرلوك هولمز) لقوى أن يمزق الاقنعة عنها ليتعرف على ملامحها ، التي لم تغيرها الاصباغ بل العمليات الجراحية المتوالية التي ابدتها كل واحدة منها مرحلة جديدة عن سحنتها العربية ؟ الواقع انها ليست خالصة النسب في العروبة ، وانا هي مولدة من ابوين احدهما عربي والآخر أعجمي من أرض تبعد ألوف الاميال عن جزيرة العرب - اندونيسيا !

ولست أنا ذلك الشبرلوك هولمز الذي طاردها من انكلترا الى اندونيسيا ، ولكنهم اللغويون الانكليزي والفرنسيون تعاونوا عليها حتى فضحوا سرها ، كما يتعاون المتقنون البولويون في مطاردة كبار المجرمين . ان (بنزين Benzine) الانكليزية من (بنزوين Benzoin)

وهذه من الفرنسية (بنجوان - Benjoin) وهذه من العربية : (لبان جاوه - Luban Jawa) وهو النوع من الصمغ العطر المعروف بالجاوي ، الذي كان يستعمل للبخور والتطرية ، وكان يصدره العرب الى أوروبا .

وللكلمة في الانكليزية صيغ اخرى تعني كلها هذا الصمغ الجاوي وان اختلفت مبانيها بسبب الارتباك

الذي أحدثته عند دخولها انكلترا ، كما يغير المتنكر زيه من مكان الى مكان فتختلف صورته وشخصه واحد . والباقي اليسوم من هذه الصور في الانكليزية هي : بنجوين Benjoin وبنزوين Benzoin وحتى بنجامين Benjamin وهذه الاخيرة بالاضافة الى معناها الصمغ تعني في الانكليزية نوعاً من المعاطف الرجالية اولا .

وتعني الاخير من اولاد الرجل اي المسمى بحجة أبيه ثانياً ، كما انها ثالثاً اسم علم توراتي : (بنيامين) مثل ابراهيم وجون - ومعناها بالعبرية (ابن اليمين) اي ابن اليد اليميني ، وهذه ايضا من العربية ، لا نشك في ذلك ، لان كلمة (اليمين) حجازية المنبت . ولنا في نشأة (اليمين واليسار) رأى ليس هنا مقام شرحه .

وقد جرت التطورات على (لبان جاوه) بعضها في فرنسا وبعضها في انكلترا . اما في فرنسا فيلوح لنا أن أول شيء فعلوه بها هو انهم بتروا اول حرف منها . أي اللام ، ظنا منهم أنه لام التعريف الفرنسي ! فصارت (بنجاوه - Benjawa) ثم أجروا لها عملية أخرى - أو أكثر من عملية - حتى أصبحت (بنجوان) - Benjoin

ومن ثم تناولها الانكليز . ويمكننا بالتخمين ان تصور ما حدث فلنفترض أن أحد الانكليز القادمين من فرنسا - أو أحد التجار الفرنسيين - قال ان هذا الصمغ اسمه (Benjoin) وهو يستعمل لكذا وكذا ، فعرفه بعض الانكليز بهذا الاسم . ولكن أحد السامعين من الانكليز أراد أن يذكر الاسم لزوجه مثلًا فخائنه المذاكرة فقال : لقد نسيت اسمه ، ولكنه شيء قريب من اسم (بنجامين Benjamin) ثم ان الزوجة قالت لجاراتها : هذا الشيء اسمه (بنجامين Benjamin) وهكذا شاعت الكلمة على هذا الشكل الى جانب (بنجوين Benjoin) ولكن شخصاً آخر سماه للناس (بنزوين Benzoin) بابدال الجيم زايا اما لضعف في المذاكرة واما لعجز في النطق . ولا بد ان الظروف اللغوية كانت موافقة لشيوع هذه الصيغة الاخرى . وهكذا أصبح للكلمة ثلاث صور : اثنتان منها تختلفان عن الصورة الفرنسية ، وكلها يختلف عن الاصل العربي . وربما راجت لها عندئذ صيغ أخرى لم تيسر لها ظروف

(I) نضع كلمة (المقتفي) بالتشديد - وزان المعتولي - مقابل Detective الانكليزية و Policier الفرنسية ، لانها اشتقاق يطابق المعنى ولم يسبق استعماله في معنى آخر . ونفضلها على (المقتفي) بدون تشديد - وزان المعتلى - التي تستعمل بمعنى التابع في الادب وفي مختلف مطالب الحياة اليومية ، ولانسيما أن التقفي من صيغة التفضل تدل على التكلف وهو أصنق دلالة على هذا الفن وما يتطلبه من تدبر وجهد . واما (العصابيون) بكسر العين فنستعملها بمعنى رجال المصائب ، ومفردها : العصابي .

الحياة فماتت . وبعد هذا وقس الاختلاف في المعنى فاشتقوا منها أسماء أطلقت على مواد نفطية لا علاقة لها بالنفان ولا بجواره .

ومن طريف الأمر ان مديرية الصناعة العراقية ارادت ذات يوم - منذ اعوام - أن تضع كلمة عربية تدل على البنزين ، فرجعوا الى معجم انكليزي لمعرفة معنى الكلمة في الانكليزية بالدقة عسى أن يساعدهم ذلك على ايجاد الكلمة العربية المناسبة ، واذا بهم يفاجأون بان أصلها (نيان بنافه) فكفروا عنها وسيحوا لها بالاقامة في العراق بزينا الاعجمي كرامة نسيبها العربي الانديسي الموند .

هذا وما قبله يدلنا على بعض مناحي التطور اللغوي أولا ، وعلى بعض مظاهر اشتراك مختلف الامم في صياغة لغة اللغوية ثانيا ، بالإضافة الى دلالة على ما اردنا اثبه من هذا البحث وهو تأثير الاجانب في لغتنا العربية ثالثا .

ويلاحظ القارئ أن أكثر ما اتينا به من نماذج - ان لم نقل تله - يدخل في عربيتنا الدارجة لا الفصحى ، وعن عمد فعلنا ذلك . لان ما دخل الفصحى قديم العهد يحتاج بيانه الى ادلة قاطعة ، ونحن لا نملك من أمرها الا الحدس والظن . أما هذه النماذج التي اوردناها فتعاصرها ونلمسها في حياتنا اليومية في هذا القطر العربي أو ذلك ، وانما نسميها عامية - او دارجة - لاننا لم نقبلها في الفصحى ، واما العرب الاقدمون فما كانوا يجزمون عن استعمال كلمة يحتاجون اليها للتعبير عن فكرة أو الدلالة على شيء بحجة أنها اجنبية أو دارجة ، بل انهم ما كانوا يفرقون في كثير من الاحوال بين فصيح ودارج واعجمي . وان صح ان كلمة (مخلفق) استحدثت على عهد النبي من (كثده الفارسية) التي تعنى الحفرة اتضح لنا مصداق ما نقول .

ولئن كانت هذه التطورات الشائقة قد حدثت في العصور الاسلامية المتأخرة أو المتقدمة فلا بد أن مثلها قد حدث قبل الاسلام ، في العصور الجاهلية المتقدمة والمتأخرة جميعا ، فدخلت الفصحى ولم يعد من السهل علينا أن نعرف هل كان تطورها بفعل الاعاجم أم الاعارب . ذلك ان العرب كانوا أهل أسفاس وملاحة وتجارة منذ سحيق الاحقاب ، حتى قبل التاريخ فيما نعتقد ، فلا شك أن مخالطتهم الاعاجم واسفارهم قد سببت هجرة الكثير من المفردات العربية وعودتها متكرة كما رحل الكثير من الاعاجم الى اصقاع عربية فاتحين أو مهاجرين ، فتركوا آثارا وافرة من لغاتهم ومن تحريفاتهم في اللغة العربية ولا سيما في الالفاظ التي يعجزون عن نطقها على النحو العربي لاحتوائها على أصوات لا وجود لها في لغاتهم . وليس يمكننا الآن بعد

هذه الاحقاب الطوال ان نتعرف في لغة الجاهلية - بل لغاتها - على الكثير من امثال الالفاظ العربية المتفرجة التي مرت بنا ، مستعينين عليهما باللغات الاجنبية المعاصرة ومعاجمها اللغوية كما نفعل الآن فنقول عن يقين أو شبه يقين انها تطورت كذا وكذا . ولكن هذا لا يمنعنا من المحاولة باللجوء الى الحدس والملاحظة والاستنتاج على علمنا بما في ذلك من مزالق وتعرض للخطأ . فعلى هذا سيكون بحثنا فيما يلي أشبه بالتقفي (الشروك هولمزى) ، الذي يأخذ بالشبهة ويحكم بالظنة منه بجمع الحقائق وتقرير الواقع .

ولنبدا بتأثير الالمة الفارسية في العربية ، ولنبدأ من ذلك بذكر مثال معاصر نعرفه ونظمنا الى صحته ثم نعود الى الجاهلية لنقيس عليه أشباهه .

في العامية العراقية الفساط أصلها عربي أخذها الفرس فحرفوا نطقها أو معناها أو كليهما ثم عدنا فأخذناها عنهم كحائنا مع الاوربيين فيما تقدم بنا من الكلام . من ذلك مثلا قولهم (جنابه الكسيف) اي الحقير أو الوسخ . واصل الكلمة (كثيف) ومعناها العربي معروف ولكن الايرانيين بالرغم من أنهم يكتبونها كالعرب بالشاء ينطقونها بالسين ويعنون بها الوسخ . وقد عاد انراقيون فاقبسوها عن الفرس بمعناها ولفظها الجديدين . ولو كان العرب استرجعوا كلمة (الكسيف) قبل الاسلام ليا اعتبرت عامية ولما عرفنا انها من عمل الفرس ، بل لدخلت المعجم العربي باعتبارها عربية خالصة النسب مرادفة للكثيف أو بمعناها الفارسي المستحدث . وربما كانت تسرد في القرآن في ذم المنافقين او المشركين او الاصنام ، كما وردت الاباريق والزنجبيل والسندس والاستبرق في وصف الجنة .

ولنتدرج في البحث خطوة فنذكر نموذجا آخر قديما حديثا معا ، نتخذه تكة لنا في البحث انه (اللوث) - وزان اللون - فقد وردت في العربية (لوثا ولوصا) ، وكلاهما بمعنى واحد هو التكوير أو التكويم او ما هو نحو ذلك من جمع الشيء او الاشياء بغير نظام او هندمة . ومن ذلك قولهم (لاث العمامة) على رأسه أو لاصها بمعنى . الا رجح عندي ان الاصل منها هو اللوث ، ولكن من تكلم العربية من الفرس عجزوا عن نطق الشاء فنطقوها سينا على عادتهم ، فتأثر بهم من خالطهم من العرب ونطقوها صادًا فصارت لوصا .

ان البحث كما قلنا قائم بجملته على التخمين البنى يتنافى مع الطريقة العلمية ، والذي لا يجوز ركوبه الا باعتباره حيلة المضطر . وانما بدأت باتخاذ اللوث مثلا لاني أكاد أكون متأكدا منه ، كما أيسح لنفسى ويبيح لي القارئ أن آتي بنظائره من النماذج فيما بعد . ذلك بان الفرس المحدثين قد اعادوا العملية أمام أعيننا

في هذه الكلمة بالذات . ان معنى الكلمة في العربية قد تطور الآن فصار اللوث يعني التدنيس او التوسيع ، وقد اثار الفرس ثانية على هذه الكلمة بمعناها المتطور الحديث هذا فصاروا يقولون (لوس) بمعنى التلوث او العطب . وأعاد العراقيون الكرة فاقتبسوا هذه الصيغة أيضاً كأجدادهم فقالوا (اللوص واللوصا) بمعنى التخليط والتخييص والتلويث ايضا . وقال الفرس (ملوس) بمعنى الملوث فقال العراقيون بعد ان فكسبوا الادغام باقحاح العين في وسط الكلمة : (ملعوس) - كمنزحرف - بنفس المعنى . هذا والفرس المحدثون اذ ينطقون الكلمة ومشتقاتها بالسين انما يكتبونها كالعرب بانشاء (لوث وملوث) - مما لا يدع مجالاً للشك في أن كلمتي (اللوص والملعوس) العراقيتين منشأهما هو النطق الفارسي لهذه الكلمة العربية .

نموذج تخميني : (الذكاء) يعني في العربية التوقد و (اذكاء النار) يعني اضرامها وتأجيجها ، و (ذكاء اعطر) سطوعه وانتشاره . ولكن الفارسي يقول (الزكاء) بدل الذكاء ، فاذا سمع عربياً يقول (ذكت الزهرة) يعني انتشر أريجها قال الفارسي (زكت) فحرف بذلك مبنائها ، وفهم أن القصد هو انها أينعت وحسن نموها فغير معناها وصار يستعملها بهذا المفهوم الجديد حتى شاعت واقتبسها العرب منه كما اقتبسوا منه اللوص قديماً واللوص والكسافة حديثاً .

بعد هذا الذي نراه بأعيننا ونسمعه بأذاننا في جيلنا لا أخالني كنت معناه في الخيال حين بدا لي أن الفرس هم الذين كانوا أتروا في العرب قديماً فجعلوهم ينطقون الثاء صاداً في كلمة (اللوث) بمعناها القديم : التكوير والتكويم .

وقبل أن أورد بعض الامثلة التخمينية المحض أذكر نموذجاً واقعياً آخر - أو يخيل لي أنه واقعي على الاقل - هو اسم قرية (زهاو) الإيرانية ، واليها تنتسب عائلة انزهاوي العراقية ومنها المرحوم جميل صدقي الشاعر المعروف فقد جاء اسمها في الخرائط القديمة (ذهاب) ، سميت بذلك لوقوعها على طريق الذهاب الى العراق - بين كرمشاه وبغداد . ولكن الفرس لعجزهم عن نطق الذال ينطقونها على عادتهم (زهاب) . ولما كانت المنطقة كردية غنبت عليها اسم (زهاو) كما ينطقها الاكراد . فان صح هذا فمن حق الزهاويين أن يسموا أنفسهم ذهابيين .

وهذا الذي أقول بشأن قرية (ذهاب) معروف ومقبول عند الكثيرين من الفرس ، ولكن الوطنية تغلب على كثيرين آخرين ممن يحاولون تفريص كل ما يمكن تفريسه ، وتنقية لغتهم من العربية - وهي تحتل اكثر من ثلثي المعجم الفارسي - فيقولون ان اسم (زهاو) فارسي بحت مؤلف من (زه - جيد ، و آب - ماء) - أي الماء الطيب . وقد يكون هذا صواباً ، وقد يكسبون وطنية لا محل لها في البحث العلمي .

بعد ذكر هذه النماذج التي نظمتني الى صحة بعضها ونظن صحة بعضها ، نقدم على ايراد نماذج أخرى على القياس ، لنا أن نشك فيها ولكن ليس لنا ان نرفضها بتأتا ولا أن نقبلها جزماً .

ومما يساعدنا على الاستدلال في هذا الباب هو أن

الفرس يعجزون عن نطق بعض الاصوات العربية ، فاذا صادفتهم في كلمة فلا بد أن يبدلوها بأصوات أخرى يقدرون عليها . وهذه الاصوات هي مع نطقها الفارسي: ث ، ص (س) ، ح (هـ) ، ذ ، ض ، ظ (ز) ، ط (ت) ع (أ) .

نموذج تخميني : (الذكاء) يعني في العربية التوقد و (اذكاء النار) يعني اضرامها وتأجيجها ، و (ذكاء اعطر) سطوعه وانتشاره . ولكن الفارسي يقول (الزكاء) بدل الذكاء ، فاذا سمع عربياً يقول (ذكت الزهرة) يعني انتشر أريجها قال الفارسي (زكت) فحرف بذلك مبنائها ، وفهم أن القصد هو انها أينعت وحسن نموها فغير معناها وصار يستعملها بهذا المفهوم الجديد حتى شاعت واقتبسها العرب منه كما اقتبسوا منه اللوص قديماً واللوص والكسافة حديثاً .

نموذج آخر : (الزوج) تعني - بلغة قريش على الاقل - الفرد الواحد من القرينين ، وبهذا اللفظ والمعنى وردت في القرآن : «من كل زوجين اثنين» ولكن أكثر العرب ينطقونها اليوم (الجوز) ، وفي المغرب (جوج) من وزن التوت . ومن المحتمل ان هذه الصيغة الاخيرة (الجوز) هي العربية الاصلية ، أو انها كانت منذ القديم لغة في الزوج لعلها أشيع على السنة العرب ، بدليل أنها أشيع اليوم أيضاً وان كان هذا دليلاً غير حاسم . أو لعلها كانت لغة العرب المجاورين للفرس ، في الحيرة مثلاً ، ولو أن العراقيين اليوم ينطقونها قرشية : (الزوج) . وقد اقتبس الفرس هذه الصيغة فيما يظهر (الجوز) بمعنى الزوجين الاثنين فقالوا : (جفت) يضم فسكون . ومن السهل ابدال الواو فاء عندهم لانهم ينطقونه ف (فاء مخففة مثل حرف : V في الانكليزية والفرنسية) . فاذا كتبتنا الكلمة بالحروف اللاتينية كما ينطقها الفرس كانت هكذا : (Jovz) وهم ينطقون (جفت) هكذا : (Joft) ولا حاجة بنا الى التدليل على قرب النطق في الكلمتين . أما ان كانوا قد أخذوا كلمة (جفت) عن (الزوج) القرشية رأساً فقد نطقوها هكذا : (Zovj) وصياغة (جفت) من هذه أمر محتمل الوقوع كصياغتها من تلك . وما دام الغرب أنفسهم قد جعلوا الزاي جيماً في المغرب فمن يستطيع أن يلوم الفرس اذا هم جعلوها جيماً او تاء ؟ ومهما يكن من أمر فقد صارت عند الفرس تعني الزوجين بدل الفرد منها ، ولعلها كانت تعني ذلك عند بعض العرب ايضاً لانها تعني ذلك عند اكثر عرب اليوم ان لم نقل كلهم (أعني في لغاتهم الدارجة) . واذا مضينا في هذا الافتراض الى نهائيه امكننا ان نفترض ايضاً أن العرب عادوا فآخذوا عن الفرس كلمة (جفت) فقالوا (الشفم) - على وزن الدفع لا بالمعنى

القرشي : الفرد من الزوجين ، بل بمعنى الزوجين كليهما - نقيض الوتر . وقد عمت بهذا المعنى قريشاً وغيرهما من أحياء العرب فجاءت في القرآن : «وَيَسْأَلُ عَشْرَ وَالثَّبَعِ وَالْوَتْرِ» . ونحن اليوم لا نجد في الفصحى لفظة بصيغة المفرد تدل على القرينين من الناس أو الأشياء ، وقد حل العامة هذه المشكلة باستعمال كلمة الزوج أو الجوز ، أو الجوج بهذا المعنى ، بل إن المغاربة يستعملون (الجوج) بدل لفظة الاثنين في كل مقام ولعل هذا هو اصل معناها العربي كالذي قلنا آنفاً . غير أنها اليوم لم تعد تصلح لهذا الاستعمال لأنها كذلك تعنى الفرد الواحد من جهة ولأنها لا تعد فصيحة من جهة أخرى . لهذا نقتصر استعمال (الشفع) بمعنى الشخصين أو الشيتين المقترنين ، فنقول رأيت شفعا من الناس أي شخصين ، واشتريت ثلاثة أشفاع من الجوارب ، أي ست فردات - على حين أنك إذا قلت : اشتريت زوج حذاء ، كان المعنى في الفصحى أنك اشتريت فردة من شفع الحذاء ، وإذا قلت اشتريت ثلاثة أزواج جوارب ، كان المعنى أنك اشتريت ثلاث فردات من ست .

نماذج أخرى :

جلحت الشيء : كشفته وجلوته . ينطقها الفرس (جلهته) وهي فصيحة أيضا ، فهل الفرس هم الذين استحدثوها لنا ؟

قصمت الشيء : قطعته . ينطقها الفرس (قسمته) ، فهل هم الذين أوجدوا هذه الكلمة الحسنة ؟
السم النكاف : هل الفرس هم الذين ابتدعوا لنا منها (النكاف) مرادفا ؟

يربط ويربد بمعنى ، ومنها (المربد) سوق البصرة المشهورة التي كانت على العهد الأموي خلفا لسوق (عكاظ) المكية على العهد الجاهلي . فهل الفضل للفرس في تحريفها ؟

مثل هذا يقال عن : يبد ويبر ، يقط ويقط ، يجذ ويجز الجسماني والجسماني ، الوصم والوصم ، اللصق واللزق البصاق والبزاق اللق واللق ، الغطاء والغشاء . ويمكن أن يقال مثل هذا عن عدد لا يحصى من الكلمات العربية .

ولست أعني أن العرب أنفسهم لم يغيروا في المباني والمعاني في لغتهم نفسها ، فإن معين القلب والابدال وتغيير الحركات والخلط والتحريف في العربية غزير جدا ، وكتب اللغة القديمة والحديثة حافلة بتفصيلات الكثير من ذلك . ولكن هذا لا يعني أن الاعاجم لم يشاركوا في جميع ذلك كالذي رأينا فعلا في أول البحث . وإن كان العرب معرضين للخطأ والتحريف

في لغتهم فالمعقول أن الاعاجم أقدر على ذلك وإجدر به ، فلا شك أنهم يتحملون بعض المسؤولية في ذلك . وبعبارة علمية أدق إن لهم الفضل في التعاون مع العرب على امداد العربية بمفردات جديدة مسن المترادفات والمتشابهات والمتناقضات والشواذ ، فزادوا هذه اللفظة العجيبة غنى على غناها وفوضى على فوضاها .

وكانت الامة الكبيرة الثانية التي خالطت العرب أمنا طويلا فآثرت فيهم وتأثرت بهم هي امة الروم . هؤلاء أيضا يعجزون عن نطق الاصوات التي يعجز عن نطقها الفرس ، بل انهم أعجز . لأن الفرس ينطقون أصوات ال : ح ، غ ، ق - على حين أن الروم يتعذر عليهم نطق هذه أيضا . وعلى هذا يمكننا أن نقول عن الروم بشأن أمثال هذه النماذج التي استشهدنا بها الآن كل ما قلنا عن الفرس ، بل أكثر .

وإن شئنا مثلا خاصا بالروم ذكرنا (سفح) السدم وسفكة فلعلمنا من عملهم . لأن ابدال الهاء كافا ليس من شأن الفرس فهم إذا أرادوا أن يقولوا (سفاخ) قالوا في العادة (سفاه) . ويؤيد اتهامنا للروم في هذا بعض التأييد انهم حين اقتبسوا (حين) الظرفية هذه ابدلوا حاءها كافا أيضا فقالوا cun و Quom بنفس المعنى العربي .

ولعل هذا المثال لم يعجبك كثيرا ، فلنضرب لك مثلا آخر . (القيح) - وزان الشكر - يعني (البوق) في العربية . وأحسب أن القيح هو الاصل منها ، ولعله من قباع الخنزير أو ما يشبه ذلك . وأحسب أن الروم هم الذين استحدثوا لنا البوق من الكلمة بعد أن طرحوا منها العين لتعذر نطقها عليهم ، ثم قلبوها . والسدى سول لى هذا الظن هو أن البوق يدعى في اللاتينية (بوكينا Buccina) وهو يعني أي بوق يحدث صوتا بوجه عام ، والتفير الحربي الروماني بوجه خاص . وقد كان له دوى سخاب وصيت ذائع مخيف تسنده وتزيده ذيوعا الانتصارات الحربية الرومانية العديدة . فلا بدع أن يكون العرب قد اقتبسوا (البوق) بعد أن انقلب هذا المنقلب كما اقتبس احفادهم الشيفرة والارض شوكي .

و (الكوخ) : كلمة مشتركة بين العربية والفارسية واللاتينية وغيرها ، فهي في العربية تعنى البيت القروي . وهي في الفارسية (كاخ) وتعنى القصر . أما في اللاتينية فلها نفس المعنى العربي مع تحريف يسير في النطق لعجز الروم عن نطق صوت الحاء كما قلنا آنفاً ، فلذلك نطقوها كاس Cas) وأضافوا اليها الفتحة علامة التأنيث فصارت كاسا Casa) ولكن معناها تطوور في الإيطالية والإسبانية - بنى اللاتينية - فأصبح يدل على النار بوجه عام ومعناها النار البيضاء Casablanca)

ولعل العرب كانوا ينطقونها (كساج) كالفرس لان لفظها اللاتيني أقرب الى هذا في حين أن معناها هسو المعنى العربي . ومهما يكن فقد عاد العرب فاسترجعوها على ما يظهر من اللاتينية بنفس المعنى ونطقوها (اخصى) - وزان الدب - وضوا اولها كما فعلوا بانكوخ . والعجيب أنهم أعادوا اليها حرف الخاء - في أولها هذه المرة بدلا من آخرها .

وقد استخرج اللاتين منها **Castrum** و **Castellum** بمعنى القلعة . وأكبر ظني أن العرب أخذوا الصيغة الأولى أيضا بشكلها الجديد ، أعني : القصر ! وهكذا صارت الكلمة ومشتقاتها تعني من القلعة فالقصر فالبيت فالكوخ ، الى ما هو اصغر من الكوخ : الخصى (I) . ومن الامم التي خالطت العرب كذلك : الاغريق والهنود والاحباش وغيرهم من شعوب القارات الثلاث ، فلا بد أن تكون هذه الامم وغيرها قد اثرت كذلك في اللغة العربية على النحو الذي عرضناه .

يلاحظ أن ما اوردناه من أمثلة تخمينية كلها بسيط معقول مقبول ، أقرب الى التصديق من الشيفرة والارضى شوكي ، أما أمثال (البنزين) التي اعتورتها التحريفات والتعقيدات حتى انهت ملامحها وانطس الشبه بينها وبين أصلها فلم يعد بإمكاننا البحث عنها في لغة الجاهلية لان المصادر الضرورية لمشمل هذا البحث تعوزنا ، ولاننا اذا تمسكنا بكل شبه زهيد في المعنى او المبني قياسا على البنزين ، او حتى على الكازوزة ، لا تبقى كلمة الا ونستطيع ردها الى اصل عربي على وجه من الوجوه . حتى الشبه الصريح غير مؤتمن العاقبة ، وقد سبق لنا أن حذرنا أنفسنا من الاغترار به .

ان هذا على كل حال باب للبحث أفتح على مصراعيه وأتركه للباحثين اللغويين يوغلون فيه ما أحبوا ويتوسعون ما شاعوا ، ولا اشك في أن الايام ستلده فيه الكثير من كل ممتع مفيد .

وثمة نوع آخر من التأثير الاعجمي في لغتنا - لا تأثير الاجانب ولكن تأثير اللغات الاجنبية ، المسؤولون فيه هم العرب هذه المرة ، وهم المحدثون من الكتاب الذين أكثروا من قراءة الكتب الاجنبية مع رصد متواضع من العربية ، أو تلقوا تعليمهم باللغات الاجنبية فصاروا اذا تكلموا أو كتبوا بالعربية أشعروك أنهم يترجمون عن

اللغة التي تأثروا بها . وقد سرى هذا النوع من التأثير حتى على كبار كتاب العربية ان لم يكن مباشرة فيواسطة (2) . أما المجيدون من الكتاب فقد انتفعوا بذلك وطعموا العربية بتعابير طريفة بارعة أحسنوا تعريبها وصياغتها . وأما القاصرون في العربية فقلما أحسنوا ، وكثيرا ما أساءوا . وقد عمت بعض الأخطاء حتى صقلها الاستعمال ، وكلنا يعرف الكثير من أمثلة ذلك . اننا نستعمل (الحقل) مثلا بمعنى الميدان في كثير من المناسبات متأثرين بالانكليزية لان كلمة «Field» تعنى بها الحقل والميدان معا . ونحن نستعمل الوثائق بدل (التسجيلي) لان الانكليزي ، وربما كان الاصح ، لان الامريكان يفعلون ذلك .

والى جانب التأثير في استعمال الكلمات ظهر التأثير في أسلوب تأليف الجمل ، وبعضه يمس حتى قواعد اللغة العربية . وما زال ذلك قاصرا الى حد ما على المتأدبين الذين قل نصيبهم من التفقه في العربية والتزود من أدبها بالاسلوب الاصيل . من ذلك قولهم (بشكل او باخر) بدلا من القول (على نحو ما) او (على هذا النحو او ذلك) ... وقولهم (انه يتقدم أكثر فأكثر) ترجمة للعبارة الانكليزية (advances more and more) بدلا من القول (انه يزيد تقدما على تقدم ... او : تقدما بعد تقدم) . وقرأت لاحدهم قوله : (انه جيد جدا ليكون صادقا) يريد أن يترجم المثل الانكليزي المشهور : (It is too good to be true) بدلا من أن يقول : (انه أجود من أن يصدق ... او : انه من الجودة بحيث لا يصلق) .

وما من أديب يقرأ اليرم مجلة عربية الا وجد من أمثلة ذلك الكثير ، حتى في الشعر احيانا . وان مدى هذا الخروج على الاسلوب العربي لتتسع دائرته شيئا فشيئا ، ولا بد أنه سيظفي كالموج الغامر ذات يوم . حتى يحدث في اللغة تطورا خطيرا حاسما فيه خير وفيه شر ، أعني ان التطور سيكون بعضه منطقيا يساعد على تنظيم الفكر الحديث وبعضه اعتباطيا فيه خلط وفوضى . والسبب الوحيد الواضح لكل عين هسو أن اتساع مجال التعلم في الاقطار العربية أكبر واسرع من تيسر امكانيات التعليم ، ولا سيما تعليم العربية ، وتيسير تعليمها ، وتيسيرها .

وان هذا الذي حدث ولا زال يحدث في هذا الجيل

(I) الكوخ وردت في الانكليزية والفرنسية أيضا بصيغة **Cottage** أقرب الى اللفظ العربي وبالمعنى العربي ، ومن **Castellum** اللاتينية بمعنى القلعة اخذ الانكليزي **Castle** والفرنسيون **Château** والاطاليون **Castella** الخ . (2) نستعمل (المواسطة) مقابل (المباشرة) ، كلمة واحدة تغنيانا عن القول «بطريقة غير مباشرة» . وهي بعد دقيقة المعنى تعبر بالضبط عن المقصود .

قد حدث الكثير من أمثاله في عصور الازدهار الثقافي الاسلامية في المشرق والمغرب ، فاستحدثت مصطلحات وابتدعت تعابير وتراكيب في المنطق والفلسفة والآليات والطبيعات والصناعات وغيرها بتأثير اللغات المترجم عنها من اغريقية وسريانية وهندية وفارسية - دون تدخل من الاعاجم . ولم يخل حتى ذلك العهد من بلبلة واضطراب في المصطلحات وركاكة في التعبير بالرغم من أن التعمق في دراسة العربية كان قد بلغ أوجه يومئذ ، وبالرغم من حذف الكثيرين من المترجمين وتضلعمهم من العربية . ومهما يكن فإن ما أصابته العربية من ثروة ونماء متناسب مع تلك المرحلة الحضارية الباذخة كان جليل القدر بالغ الأهمية ، لنا فيه تراث يجب أن نحسن الانتفاع به .

على أن تتبع كل ذلك ما زال ميسورا للباحثين ولو أنه في واقع الامر فسيح الإرجاء متعدد الجوانب . فهل حدث مثل هذا في الجاهلية ؟ حدث ما يقاربه . في العهد الاسلامي كان العرب هم الغالبين سياسيا وحربيا ، والمغلوبين او المتأثرين وبعبارة أدق ، المنتفعين ثقافيا من الاقطار المفتوحة كفارس ، وألفسوح بعضها كالهند ، والمفتوحة امبراطوريتها كروما ، والتي لم يفتحوها قط كاليونان .

أما في الجاهلية فقد سيطر الروم على عرب الشام ، والفرس على عرب العراق ، والفرس والاحباش على عرب اليمن ... فإلى أي حد تأثرت العربية بلغات هذه الامم وثقافتها ؟ ان التأثير لم يكن من العمق والاتساع بحيث يمكن قياسه على ما جرى في العهد الاسلامي ، لان العرب لم يكونوا عندئذ في مرحلة تثقف وتمدين ، أو بالأحرى لان هذه الامم الاعجمية لم تستهدف تثقيف العرب وتمدينهم .

أما الروم فقد كانوا معمرين مستعمرين لا مثقفين ولا متثقفين . ولكن اختلاطهم امدا طويلا بعرب الشام خاصة قد ترك اثره من غير شك . وهذا بحث له اهميته يتطلب تفرغا خاصا .

واما الفرس فقد كان شأنهم مع عرب العراق شأن

الروم مع عرب الشام . كلتا الامتين الفاتحتين اقتبست مضالحتها أن تترك العرب على ما هم فيه من بدادة أو شبه بدادة ، مهمتهم حماية الثغور للمستعمرين ومجاربة بعضهم بعضا دفاعا عن الاستعمار في بلادهم ، فكانما اتخذ الروم عرب الشام والفرس عرب الحسيرة ديوك هراش .

لقد تطرقنا قبل الى تأثير هؤلاء العلوج من الامتين - ولا نقصد بالكلمة الزراية بهم (I) ، واما الذي نريد اليه هنا فهو تأثير العرب بلغتهم وبالاغريقية والحشبية وغيرها وانعكاس ذلك على اللغة العربية دون تدخل من الاعاجم أنفسهم - على شاكلة تأثير الكتاب والمترجمين في العهد الاسلامي ، وتأثير الادباء والمتأدين في عهدنا هذا ، فهذا هو الذي يصعب اليوم تتبعه والبحث فيه لانه يتطلب منا أن نعرف أساليب العربية ولهجاتها القديمة الاولى في بعض المراحل التاريخية ، والمناطق الجغرافية ، لكن تتمكن بالمقارنة من تعرف ما طرأ عليها في مختلف تلك الظروف الغامضة الشديدة التعقيد .

على أنه بالرغم من صعوبة الامر لا بد أن البحث سيكشف فيه عن جديد مهما يكن قليلا ...

وإذا كان لا بد لنا من المغامرة بإيراد نموذج من هذا النوع البعيد المنال من تأثير اللغة العصرية باللغات الاعجمية - ذكرنا - بتحفظ شديد - تقديم الصفة على الموصوف أحيانا خلافا للقاعدة العامة في العربية التي يعسد من خصائصها - وخصائص اخواتها اللغات السامية - تأخير الصفة عن موصوفها ، والصفة في العربية تابعة للموصوف في كل حالاته من الأعراب والتذكير والتانيث والافراد والتثنية والجمع ، فنحن نقول مثلا : طيب الراحة حاد المزاج ، حسن الحظ ، ضيق اليد ... بالضبط كما يقول الفرس : خوش بو ، وتندخو ، نيك بخت ، تنكك دست ... بنفس المعنى وبنفس الترتيب كلمة فكلمة ، ونجتزئ بهذا الآن ، فان لتقديم الصفة على الموصوف في العربية خلافا للقاعدة العامة موضوعا طويلا لنا فيه بحث مستقل .

نزيل المغرب العربي : عبد الحق فاضل

(I) علج : كلمة امتهان كان يطلقها العرب على الاعاجم ولاسيما الروم ، ويبدو لنا أن الكلمة من لغة الروم أنفسهم ، أصلها (الكو - Algo) أي الغريب الاجنب ، واستعمال الكلمة من قبل العرب بمعنى الازدراء يدل على أنفتهم حتى من حكامهم الروم ، ولعلمهم كانوا يعدون حروبهم تحت أمرة الدولتين الفاتحتين متعة خاصة لانفسهم ولمصلحة انفسهم شأن جميع القبائل العربية المتحاربة الاخرى ، ولعل كلا من الفريقين العربيين كان يعد الدولة المحالفة له ظهيرا يعاونه على خصمه ويبدو لنا أنه لو لم يكن المنازرة خاضعين للفرس والغساسنة للروم لتطاحن المنازرة والغساسنة فيما بينهم نزاعا على السلطان .